SAMI

HAWLA AL-SHAMA'IL AL-
NUHAMMADIYAH

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY PAIR
32101 019477130
2276 .9075 .897

2276.9075.897
Sūmi
Hawla al-Shamā'il al-Muhammadiyah...

ISSUED TO

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
	DUE JUN 15 1991		

Princeton University Library
32101 081686675

حول الشمائل المحمدية

لأبي عيسى الترمذي

الرسالة الأولى

من باب الخلق

للأستاذ

محمود سامي بك

الطبعة الأولى

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

جميع الحقوق محفوظة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

Sāmī, Maḥmūd

حول الشمائل المحمدية

لأبي عيسى الترمذي

Hawla al-Shamā'il

الرسالة الأولى

من باب الخلق

للأستاذ

محمود سامي بك

الطبعة الأولى

١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م

جميع الحقوق محفوظة

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(RECAP)

2276
.9075
.897

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا يليق بعظمة ذاته ، وجميل صفاته ، على آلائه التى أفاضها علينا من خزائن هباته ، والصلاة والسلام على قلادة نعمه ، وثمار كرمه . سيدنا محمد الذى أنعمت به على الخلق أجمعين ، وأرسلته رحمة للعالمين ، وجعلته مثالا للكمال الخَلْق والخُلُق . فقلت فى محكم كتابك (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) . والصلاة والسلام على جميع إخوانه من الأنبياء والمرسلين ، وعلى آل بيته الطيبين الطاهرين ، وعلى أصحابه والتابعين إلى يوم الدين .

(أما بعد) فإن من أشرف العلوم التى تهدى إلى الصراط المستقيم ، ومن أجلّ القُرَب التى توصل إلى نيل شفاعة سيد المرسلين ، علم السيرة النبوية ، وقد انقطع للكلام فيه أتقى المؤلفين وأورع المحدثين ، ولذا ترى وتلمس فى مؤلفاتهم روحا فياضة ومددا ملهما بحيث لا يشبع من ورود عذب منهلهم ، ولا يكتفى بالرىّ من حوض ذخائرهم إلا إن كان الشرب عَلَلاً . وقد شعرت

وأنا أكتب كتابى فى « شرح الشمائل المحمدية » للحكيم الترمذى الذى يظهر قريبا أن أبرز بعض الكلام على وصف سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ، ووقع اختيارى على وصفين سبقا غيرهما ممن تصدوا لوصفه صلى الله عليه وسلم . وهذان الوصفان إن انضم إليهما وصف ثالث من غير شمايل «الترمذى» كان مجموعها بحق أشفى وأشمل وأجزل ما قيل فى وصفه صلى الله عليه وسلم .

أما أحد الأوصاف الثلاثة فهو وصف « أم معبَد » التى مر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أثناء هجرته بين مكة والمدينة . والوصف الثانى وصف « هند » بن أبى هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم . والوصف الثالث لسيدنا على ابن أبى طالب كرم الله وجهه . وهذه الأوصاف الثلاثة قد اختلفت فى ظروفها ومناسباتها ، ولكن توافقت فى تحديداتها وفى بيان الموصوف وإن تغايرت فى اللغة والبيان . ومعلوم أن وصف النبى صلى الله عليه وسلم جاء على لسان صغار الصحابة سنا ، لأن هؤلاء كانوا لصغر سنهم أجرأ فى النظر إلى طلعته البهية ، ولأن كبارهم كانوا يخفضون الطرف فى حضرته مهابة وإجلالا

إلا وصف « أم معبد » فإنه كان مختلفا عن تلك القاعدة التى ذكرناها كما سيأتى :

وصف « أم معبد »

قلنا كلمة عن هذا الوصف ، ونقول الآن فى موضع التفصيل إن هذا الوصف يغاير غيره فى أمور ثلاثة (الأول) أنه وصف امرأة لرجل . ونظر المرأة للرجل كما قيل أشفى من نظر الرجل إلى الرجل ولم يتعرض لوصفه صلى الله عليه وسلم على ما نعلم من النساء غيرها . (الثانى) أن « أم معبد » وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى لاتعلم أنه رسول الله وإنما قصدت بوصفها أن تبرز لزوجها حقيقة حال الرجل المبارك كما سمته هى حين مر بها . (الثالث) أنها وصفت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن تسلم هى أو زوجها . والفضل ماشهدت به الأعداء .

وسياق قصة « أم معبد » كما جاء عنها فى « السيرة الحلبية » لمؤلفها الإمام العالم العلامة على بن برهان الدين الحلبى الشافعى نفعنا الله بعلومه .

أنه لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغار بعد مكثه فيه ثلاث ليال ، وكان صبيحة يوم الاثنين سار فى هجرته

من مكة إلى المدينة هو وصاحبه أبو بكر رضى الله عنه ، والدليل وهو رجل من « دؤل » يدعى عبدالله بن أريقط ويقال بن أرقط « وأرقد » اسم لأمه وقيل أسلم بعد الهجرة وقيل لم يعرف له إسلام ، وكان يتردد عليهما سواء فى الغار أو فيما بعد الغار « عامر ابن فهيرة » وكان خادما لأبى بكر يرسله فى قضاء مصالحه والظاهر من سياق القصة أن عامرا حضر حلب رسول الله صلى الله عليه للشاة العجفاء فى خيمة « أم معبد » وسقاه رسول الله صلى الله وسلم من اللبن المحلوب . أقول ساروا « بقديد[1] » فمروا ببيت « أم معبد » وفى رواية بخيمتها وفى رواية بخيمتيها ، وكان بيتها فى طرف الوادى الذى يلى المدينة وكان زوجها راعيا للغنم ، فكان يخرج كل يوم بأعنازه إلى الكلأ ليرعى ويعود بها آخر النهار تاركاً امرأته وولدها « معبد » بالبيت لتعتنى به ولتدبر لزوجها شئونه . وكانت « أم معبد » امرأة برزة[2] جلدة[3] تحتبئ بفناء

---

(١) قديد : واد طويل بين مكة والمدينة لاماء فيه ولا زرع .

(٢) برزة : بفتح الباء وسكون الراء وفتح الزاى أى بارزة المحاسن أو متجاهرة تبرز للقوم يجلسون إليها ويتحدثون وهى عفيفة .

(٣) جلدة : بفتح الجيم وسكون اللام وفتح الدال من الجلادة بكسر الجيم ، وهى الشدة والقوة .

بيتها وتطعم وتسقى وهى لاترى ، فمروا بها وسألوها لحما وتمرا ، وفى رواية أو لبنا يشترونه ، فقالت : والله لو كان عندنا شىء ما أعوزناكم[١] وفى رواية ما أعوزناكم القرى[٢] لأنهم كانوا مُسْنِتِينَ[٣] . فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم يا «أم معبد» هل عندك من لبن ؟ فقالت لا والله ، فرأى[٤] شاة خلّفها الجهد[٥] عن الغنم ، قال هل بها من لبن ؟ قالت هى أجهد من ذلك ، قال أتأذنين فى حلبها قالت والله ما ضربها فحل[٦] قط فشأنك[٧] ، فدعا بها فمسح ظهرها بيده ، وفى رواية فبعث النبى صلى الله عليه وسلم ابنها «معبدا» فقال اُدْعُ[٨] هذه الشاة ، ثم قال ياغلام هات

---

(١) ما أعوزناكم : أى إلى الشراء .

(٢) القرى : بكسر القاف أى الضيافة .

(٣) مسنتين : على وزن مجدبين ، وهو وصف يغلب على الأرض إذا أجدبت وامتنع خيرها . والمعنى أنهم كانوا كأنهم خارجون من أرض مجدبة لشدة ما يبدو عليهم من الجوع والعطش .

(٤) فرأى : أى أبصر بعينى رأسه .

(٥) خلفها الجهد : أى لم تطق اللحاق بالغنم لما بها من الهزال والإعياء

(٦) فحل : الذكر الذى يضرب الأنثى لتصير حبلى .

(٧) فشأنك : أى أصلح شأنك بها ، فإن رأيت منها حلبا فاحلبها .

(٨) ادع : أى أحضر هذه الشاة .

فَرَقًا[١] فمسح ظهرها ، وفى رواية فمسح بيده ضَرعها وسمَّى الله تعالى وقال : اللهم بارك لنا فى شاتنا : فَدَرَّت[٢] وَاجْتَرَّت[٣] وتَفَاجَحَت[٤] ثم دعا بإناء يربض الرهط[٥] فحلب فيه ثجًّا[٦] حتى علاه البهاء[٧] ، وفى رواية حتى علته الثمالة[٨] ، وفى رواية فسقاها فشربت حتى رُوِيت وسقى أصحابه حتى رووا عَلَلاً[٩] بعد نَهَلٍ[١٠] . ثم شرب صلى الله عليه وسلم فكان آخرهم شربا ثم حلب فيه وغادره[١١] عندها وارتحل هو وأصحابه .

---

(١) فرقا : بفتح الفاء وسكون الراء مكيال بالمدينة يسع ثلاثة آصع أو ستة عشر رطلا .

(٢) فدرت : بفتح الدال وتشديد الراء وفتحها أى كثر لبنها وامتلأ ثدياها

(٣) واجترت : من الاجترار أو من الجرة بكسر الجيم وهو أن يردّ الحيوان طعامه من معدته إلى فمه ليأكله ثانيا ، أو ليتعلل به إلى طعامه .

(٤) وتفاجحت : أى فتحت ما بين رجليها للحلب .

(٥) يربض الرهط : أى يرويهم فيربضون وينامون ، والرهط : القوم .

(٦) ثجا : أى بقوة لكثرة اللبن المحلوب .

(٧) البهاء : الحسن والظرف .

(٨) الثمالة : الرغوة التى تعلو سطح اللبن .

(٩) عللا : من العلل الذى هو الشربة الثانية أو الشرب بعد الشرب تباعا

(١٠) نهل : والنهل أول استذاقة الشىء فيكون بطيئا إما لتعرف طعمه وإما تسليكا لمجارى الشرب .

(١١) غادره : أى تركه عندها .

وعن « أم معبد » أن هذه الشاة بقيت إلى خلافة سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه أى إلى سنة ثمان عشرة من الهجرة ، وقيل سبع عشرة ويقال لتلك السنة عام الرمادة حيث أصاب «الجزيرة» قحط طال أمده فكانت الرياح إذا هبت جلبت معها رمادا ، وهذه هى السنة التى استسقى فيها سيدنا عمر بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم . وقالت « أم معبد » فى وصف تلك الشاة التى حلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم : وكنا نحلبها صبوحا وغبوقا[1] وما فى الأرض قليل ولا كثير مما يتعاطى الدواب أكله ؛ وهذا السياق يدل على أن الذى حلبه رسول الله صلى الله عليه وسلم عند « أم معبد » شاة واحدة . وفى تاريخ « العينى » شارح البخارى قال يونس عن ابن إسحق إنه دعا ببعض غنمها فمسح ضَرعها بيده ودعا الله وحلب فى العس[2] حتى أرغى وقال اشربى « يا أم معبد » فقالت اشرب اشرب فأنت أحق به فرده إليها فشربت ، ثم دعا بحائل[3] ففعل بها مثل

(١) صبوحا وغبوقا . بضم أولهما : أى بكرة وعشية ، وعلى هذا فهى كانت تحلب مرتين فى اليوم .

(٢) العس : الآنية الكبيرة .

(٣) بحائل : الحائل الواحدة من الإبل أو الغنم إذا انقطع حيضها وامتنع حملها وصارت عاقرا .

ذلك ثم سقى الدليل ، ثم دعا بحائل أخرى ففعل بها مثل ذلك ثم سقى عامر بن فهيرة خادم أبى بكر ، ويظهر أنه حضر بالصدفة .

وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغوا «أم معبد» فسألوها عنه ، ووصفوه لها ، فقالت : ما أدرى ما تقولون قد ضافنى حالب الحائل : فقالوا ذلك الذى نريده .

وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل ووقفوا على الباب فخرجت إليهم فقالوا أين أبوك ؟ قلت والله لا أدرى ، فرفع أبو جهل يده فلطم خدى لطمة خرم منها قرطى ، وفى لفظ طرح منها قرطى قالت ثم انصرفوا . فمضى ثلاث ليال ولم ندر أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ أقبل رجل من الجنّ من أسفل مكة يغنى بهذه الأبيات :

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين قالا خيمتى أم معبد
هما نزلا بالبر ثم ترحّلا فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت أسماء وإن الناس ليتبعونه يسمعون صوته حتى خرج إلى أعلا مكة يردد هذه الأبيات ويغنيها بصوت شجىّ .

*

ولما جاء زوجها « أبو معبد » قال « السهيلى » لا يعرف اسمه وقيل اسمه « أكثم » وقيل « خنيس » وقيل « عبد الله » وكان يسوق أعنازا عجافا[1] قال يا « أم معبد » ماهذا اللبن ولا حلوب فى البيت قالت[2] :

« الرواية الأولى لأم معبد » :

« رأيت رجلا ظاهر الوَضاءة ، متبلج الوجه ، فى أشفاره وَطَفٌ ، وفى عينيه دَعَجٌ ، وفى صوته صَحَلٌ ، غصن بين الغصنين ، لا تشنؤه من طول ، ولا تقتحمه من قصر ، لم تَعِبه نَجْلَةٌ ، ولم تَزْرِ بِهِ صَعْلَةٌ ، كأن عنقه إبريق فضة ، وإذا نطق فعليه البهاء ، وإذا صمت فعليه الوقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظرا ، وأحسنهم وجها ، أصحابه يحفون به ، إذا أمر ابتدروا أمره . وإذا نهى انتهوا عند نهيه » .

والرواية الثانية لأم معبد التى نتصدى لبيان مبناها ومعناها قالت :

---

(١) أعنازا عجافا : الأصل فى « عجافا » الأرض التى لاخير فيها ، ومعناه هنا هزالا .

(٢) « لأم معبد » فى وصف النبى روايتان واحدة قصيرة هى التى نوردها أولا وأخرى مطولة وهى التى نذكرها ثانيا ونبين معناها .

« رَأَيْتُ رَجُلاً ظَاهِرَ الْوَضَاءَةِ(١)، أَبْلَجَ الْوَجْهِ(٢)، حَسَنَ الْخَلْقِ(٣)، لَمْ تَعِبْهُ نَجْلَةٌ(٤)، وَلَمْ تُزْرِهِ صَعْلَةٌ(٥)، وَسِيمًا قَسِيمًا(٦)، فِي عَيْنَيْهِ دَعَجٌ(٧)، وَفِي أَشْفَارِهِ وَطَفٌ(٨). وَفِي صَوْتِهِ صَحَلٌ(٩). أَحْوَرُ(١٠)، أَكْحَلُ(١١)، فِي عُنُقِهِ سَطَعٌ(١٢). وَفِي لِحْيَتِهِ كَثَاثَةٌ(١٣). أَزَجُّ(١٤)؛ أَقْرَنُ(١٥)؛ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ(١٦)، إِنْ صَمَتَ فَعَلَيْهِ الْوَقَارُ(١٧)، وَإِنْ تَكَلَّمَ سَمَا بِهِ وَعَلَاهُ الْبَهَاءُ(١٨)، أَجْمَلُ النَّاسِ وَأَبْهَاهُمْ(١٩)، حُلْوُ الْمَنْطِقِ(٢٠)، فَصْلٌ(٢١)، لَا نَزْرٌ وَلَا هَزْرٌ(٢٢)؛ كَأَنَّ مَنْطِقَهُ خَرَزَاتٌ نُظِمْنَ يَتَحَدَّرْنَ(٢٣)، رَبْعَةٌ(٢٤)، لَا تَشْنَؤُهُ مِنْ طُولٍ(٢٥)، وَلَا تَقْتَحِمُهُ عَيْنٌ مِنْ نَظَرٍ(٢٦)؛ غُصْنٌ بَيْنَ غُصْنَيْنِ(٢٧)، فَهُوَ أَنْضَرُ الثَّلَاثَةِ مَنْظَرًا(٢٨)، وَأَحْسَنُهُمْ قَدْرًا(٢٩)، لَهُ رُفَقَاءُ يَحُفُّونَ بِهِ(٣٠)؛ إِنْ قَالَ أَنْصَتُوا لِقَوْلِهِ(٣١)، وَإِنْ أَمَرَ ابْتَدَرُوا إِلَى أَمْرِهِ(٣٢)، مَحْفُودٌ(٣٣)، مَحْدُومٌ(٣٤)، مَحْشُودٌ(٣٥)، لَا عَابِسٌ وَلَا مُفَنَّدٌ(٣٦) ».

---

(١) رأيت رجلا ظاهر الوضاءة : رأيت بمعنى أبصرت بعينى رأسى ، ورجلا بضم الجيم : الفرد الذكر البالغ من بنى آدم ، ظاهر الوضاءة : بفتح الواو أى بادى الحسن والنضارة وفعله وضؤ بالضم كـكرم فهو مضىء أو ضىء .

(٢) أبلج الوجه : من بلجَ بالتحريك ، يقال بلج الصبح : إذا أضاء

وأشرق وهو أفعل تفضيل من البلج ، أو يكون من الإبليجاج : وهو الوضوح أو من البلجة بضم الباء وهو الضوء ، وعلى كل يكون قوله ظاهر الوضاءة معناه منور الوجه : أى يشرق منه النور .

(٣) حسن الخلق : أى متناسب أعضاء كل جسمه .

(٤) لم تعبه نجلة : ونجلة بفتح النون وسكون الجيم عظم البطن وكبرها .

(٥) ولم تزره صعلة . والصعلة : النخلة إن كان فيها عوج ، وهى بفتح الصاد وسكون العين ، ومعناها أيضا صغر الرأس ، ومنه رجل مصعتل الرأس أى مستطيله ، وتزره : بمعنى تشنه . والمعنى المراد هنا أنه ليس فى خلقه عوج ورأسه مستدير ليس بالصغير .

(٦) وسيما قسيما : بكسر السين فيهما ، والوسيم : الحسن ، والقسيم : الجميل .

(٧) فى عينيه دعج . والدعج بفتح الدال وتشديدها : شدة سواد سواد العين وشدة بياض بياض العين .

(٨) وفى أشفاره وطفٌ ، والأشفار : حرف الجفون الذى تنبت عليه الرموش ، وأطلق مجازا على الرموش من قبيل تسمية الحالّ باسم المحل ، وعلى ذلك يكون المراد هنا بالأشفار الرموش ، ووطف بالتحريك غزارة شعر الحاجبين والرموش ، والمراد هنا على وجه التخصيص هو الرموش .

(٩) وفى صوته صَحل . والصحل بفتح الصاد والحاء : انشقاق فى الصوت من غير أن يستقيم ومعناه البحة بتشديد الحاء .

(١٠) أحور : من الحور بفتح الحاء والواو : وهو أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ، وعلى هذا فالحور أوسع معنى من الدعج .

(١١) أكحل : من الكحل بالتحريك وهو أن يعلو منابت الأشفار سواد خلقة أو أن تسوده مواضع الكحل ، والمرأة الكحلاء الشديدة سواد العين أو التى كأنها مكحولة وإن لم تكحل .

(١٢) وفى عنقه سطع : أى نور ، وفى الرواية الأولى « لأم معبد » كأن عنقه إبريق فضة .

(١٣) وفى لحيته كثاثة : أى عظيم وكثير شعرها .

(١٤) أزج : هـذا وصف للحاجب : ومعناه مقوس كالنون المقلوبة ، والحاجب الأزج هو الطويل الدقيق المستوى بحيث لا تعدو شعرة منه الأخرى ، والحاجب الأزج خلقة والمزجج صنعة ، والخلقة أشرف .

(١٥) أقرن : أى مقرون الحاجبين بمعنى أن طرفيهما يلتقيان ، وهذا هو الوصف الوحيد الذى خالفت فيه « أم معبد » جميع من وصفوا النبى صلى الله عليه وسلم ، فقد أجمعوا على أن حاجبيه لم يكونا مقرونين وأنه كان بينهما عرق يدره الغضب ، ولذلك يحتمل أن « أم معبد » لم تدقق الوصف هنا إما لأنها كانت واقفة بفناء الخيمة أثناء حلب رسول الله صلى الله عليه وسلم للشاة والضوء لم يكن كافيا ، وإما أنها كانت واقفة إلى جنب رسول الله فلم يكن نظرها إلى الحاجبين فى مواجهتهما فاختلف عليها النظر ، والله أعلم .

(١٦) شديد سواد الشعر : هذا ظاهر المعنى فى تحديد لون شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١٧) إن صمت فعليه الوقار . والصمت : هو السكون ، والوقار بفتح الواو هو الرزانة والاتزان ، والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم إن سكت تحفه المهابة والجلال وتعجبك منه الرزانة .

(١٨) وإن تكلم سما به وعلاه البهاء : الضمير فى به يعود على الكلام . والمعنى أنه إن تكلم سما به كلامه وارتفع بين جلسائه وسامعيه ، والبهاء الحسن والكمال ويكون المراد بقوله وعلاه البهاء : أى ظهر عليه الحسن والكمال لا من اللفظ فقط بل من الناحية الخلقية والخلقية أيضا .

(١٩) أجمل الناس وأبهاهم : وهـذا وصف مستلزم لما تقدم أو هو تأكيد له .

(٢٠) حلو المنطق . والمنطق : الكلام يخرج من الفم ، وحلو المنطق إشارة إلى أن كلامه صلى الله عليه وسلم يشتهى كما يشتهى الشىء الحلو .

(٢١) فصل : وهو إشارة أيضا إلى الكلام . والمعنى أن كلامه صلى الله عليه وسلم فصل بين الحق والباطل ، ويجوز أن يكون المراد أنه نفسه لا خصوص كلامه فصل بين الحق والباطل ولكن استمرار وصف الكلام يرجح المعنى الأول .

(٢٢) لا نزر ولا هزر : بسكون الزاى فيهما ، وهذا وصف أيضا للكلام . ومعنى لا نزر : أى ليس بقليل لا يفهم وينبىء عن عى . ومعنى ولا هزر : أى ليس بكثير فاسد .

(٢٣) كأن منطقه خرزات نظمن يتحدرن : وهذا التشبيه بليغ والخرزات هى الجواهر الغالية ومعناه كأن كلامه جواهر غالية يتساقطن من فيه يلتقطها السامع فيرصها فى عقد غال ، وذلك يطابق ما جاء فى صفة كلامه صلى الله عليه وسلم : كان لا ينطق إلا بالعوالى ولذا قالت « أم معبد » حلو المنطق وكان يصح أن تكون سابقة مباشرة لهذا الوصف .

(٢٤) ربعة : بفتح الراء وسكون الباء أى أطول من المربوع وهذا الوصف تقريبى لا تحديدى .

(٢٥) لا تشنؤه من طول : أى لا تبغضه من فرط طوله وليس بمشذب وهو المفرط فى الطول .

(٢٦) ولا تقتحمه عين من نظر : أى لا تتجاوزه عين من نظر إليه اختبارا له .

(٢٧) غصنا بين غصنين : شبه النبى صلى الله عليه وسلم وصاحبيه أبا بكر والدليل بالأغصان فى اعتدال أجسامهم فهو استدراج للوصف التالى .

(٢٨) فهو أنضر الثلاثة منظرا . الأصل فى النضارة : شدة خضرة النبات إذا كان قويا وأطلقت على الألوان جميعها إذا كانت فجة . والمعنى أنه بعد

أن شبه الثلاثة بالأغصان أراد أن يفاضل بينها فقال إن النبي أكثرهم نضارة ، وليس المراد التشبيه بالخضرة على وجه الخصوص لأن الخضرة ليست من ألوان الجنس الآدمى لهذه الدنيا وإنما المراد التشبيه بأن كل شيء فيه كانت تظهر فيه الحيوية القوية كالنبات المستوى على سوقه يعجب الزراع .

(٢٩) وأحسنهم قدرا : أى وأعلاهم شأنا .

(٣٠) له رفقاء يحفون به : والرفيق الصاحب . ويحفون به أى يحدقون ويحيطون به محافظة عليه كما فى قوله تعالى (والملائكة حافين من حول العرش) أى محدقين به .

(٣١) إن قال أنصتوا لقوله : أى استمعوا له منتبهين للفهم . والإنصات أبلغ من الاستماع على حد قوله تعالى (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) وبناء على ذلك لا يكون الاستماع هو الإنصات ولكن الإنصات أن يستمع ويتدبر .

(٣٢) وإن أمر ابتدروا إلى أمره : أى سارعوا إلى تنفيذ ما أمر به فهم يطيعونه إطاعة الخادم للسيد .

(٣٣) محفود : من حفد بالتحريك بمعنى خدم ، ورجل محفود : أى مخدوم .

(٣٤) مخدوم : إما أن يكون تأكيدا لقوله محفود ، وإما أن يكون المراد أن له تبعة من الجن يخدمونه ، ويجوز أن يكون بمعنى كثير الخدم والحشم ، وهذا أقرب المعانى هنا إذ كل من رآه تمنى أن يكون خادما له .

(٣٥) محشود : أى مطاع يحف به أصحابه ليتسابقوا إلى طاعته .

(٣٦) لاعابس ولا مفند . وعابس : بمعنى متجهم أى أن وجهه ليس متجهما بل يبدو عليه دائما البشر والسرور إلا إذا انتهكت حرمات الله . وقوله ولا مفند : أى ولا كثير اللوم لأصحابه .

ولما سمع « أبو معبد » هذا الوصف من امرأته قال : والله هذه صفة صاحب قريش ولو رأيته لاتبعته ولأجتهدنّ أن أفعل وفى « الإمتاع » أن « أم معبد » ذبحت لهم شاة وطبختها فأكلوا منها ووضعت لهم منها فى سفرتهم ما وسعته تلك السفرة ، وبقى عندها أكثر لحمها . وفى « الخصائص الكبرى » أنه صلى الله عليه وسلم بايعها : أى أسلمت قبل أن يرتحلوا عنها . وفى كلام « ابن الجوزى » أن « أم معبد » هاجرت بعد أن وصل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وأسلمت هى وزوجها وأخوها « حبيش » .

وكان أهلها يؤرخون بيوم نزول «الرجل المبارك» ، ويقال إنّ زوجها خرج فى أثرهم وأدركهم وبايعه صلى الله عليه وسلم ورجع ؛ وفى «الأجوبة المسكتة» قيل «لأم معبد» ما بال صفتك لرسول الله أشبه من سائر صفات من وصفه من الرجال؟ فقالت: أما علمتم أن نظر المرأة من الرجل أشفى من نظر الرجل إلى الرجل :

وصف « هند بن أبى هالة »

وهند بن أبى هالة هو ابن لسيدتنا خديجة أم المؤمنين من

زوج لها فى الجاهلية قبل أن يتزوج بها النبى صلى الله عليه وسلم يدعى أبا هالة . واختلف فى حقيقة اسمه فقيل « النباش » وقيل « زرارة » وقيل « هند » وقد ولدت له سيدتنا خديجة ذكرين «هندا» و«هالة» والظاهر أنه مات قبل الإسلام . ولما عقد عليها للنبى دخلت به ومعها أولادها فتربى « هند » فى حجر النبى وكان ربيبا له ، وعلى ذلك يكون أخا لسيدتنا فاطمة من أمها ، وخالا للحسن والحسين رضى الله عنهما، وكان «هند» هذا كثير الوصف وساعدته البيئة التى نشأ فيها على أن يمعن النظر فى خَلْق وخُلُق رسول الله صلى الله عليه وسلم بجرأة الشباب، ولذلك جاء وصفه للنبى صلى الله عليه وسلم وصفا شاملا كما تتبين ذلك من خلال ألفاظه .

وقد جاء فى « الشمايل المحمدية » للحكيم الترمذى عن هذا الوصف ما يأتى :

« حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ قَالَ حَدَّثَنَا جُمَيْعُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمٰنِ الْعِجْلِيُّ إِمْلَاءً عَلَيْنَا مِنْ كِتَابِهِ قَالَ حَدَّثَنِى رَجُلٌ مِنْ بَنِى تَمِيمٍ مِنْ وَلَدِ أَبِى هَالَةَ زَوْجِ خَدِيجَةَ يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللهِ عَنِ ابْنِ أَبِى هَالَةَ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ

*

سَأَلْتُ خَالِي هِنْدَ بْنَ أَبِي هَالَةَ وَكَانَ وَصَّافًا(١) عَنْ حِلْيَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَشْتَهِي أَنْ يَصِفَ لِي مِنْهَا شَيْئًا أَتَعَلَّقُ بِهِ فَقَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخْمًا مُفَخَّمًا(٢)، يَتَلَأْلَأُ وَجْهُهُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ(٣)، أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ(٤) وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ(٥)، عَظِيمَ الْهَامَةِ(٦)، رَجِلَ الشَّعَرِ(٧)، إِنِ انْفَرَقَتْ عَقِيقَتُهُ فَرَقَهَا وَإِلَّا فَلَا(٨)، يُجَاوِزُ شَعْرُهُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ إِذَا هُوَ وَفَّرَهُ(٩)، أَزْهَرَ اللَّوْنِ(١٠)، وَاسِعَ الْجَبِينِ(١١)، أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ(١٢)، سَوَابِغَ فِي غَيْرِ قَرَنٍ(١٣)، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ(١٤)، أَقْنَى الْعِرْنِينِ(١٥)، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ(١٦)، يَحْسَبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ(١٧)، كَثَّ اللِّحْيَةِ(١٨)، سَهْلَ الْخَدَّيْنِ(١٩)، ضَلِيعَ الْفَمِ(٢٠)، مُفَلَّجَ الْأَسْنَانِ(٢١)، دَقِيقَ الْمَسْرُبَةِ(٢٢)، كَأَنَّ عُنُقَهُ جِيدُ دُمْيَةٍ فِي صَفَاءِ الْفِضَّةِ(٢٣)، مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ(٢٤)، بَادِنٌ(٢٥)، مُتَمَاسِكٌ(٢٦)، سَوَاءُ الْبَطْنِ وَالصَّدْرِ(٢٧)، عَرِيضُ الصَّدْرِ(٢٨)، بَعِيدُ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ(٢٩)، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ(٣٠) أَنْوَرُ الْمُتَجَرَّدِ(٣١)، مَوْصُولُ مَا بَيْنَ اللَّبَّةِ وَالسُّرَّةِ بِشَعَرٍ يَجْرِي كَالْخَيْطِ(٣٢)، عَارِي الثَّدْيَيْنِ مَا سِوَى ذَلِكَ(٣٣)، أَشْعَرُ

الذِّرَاعَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ وَأَعَالِي الصَّدْرِ[٣٤]، طَوِيلُ الزَّنْدَيْنِ[٣٥]، رَحْبُ الرَّاحَةِ[٣٦]، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ[٣٧]، سَائِلُ الْأَطْرَافِ[٣٨]، خُمْصَانُ الْأَخْمَصَيْنِ[٣٩]، مَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ يَنْبُو عَنْهُمَا الْمَاءُ[٤٠]، إِذَا زَالَ زَالَ قَلْعًا[٤١]، يَخْطُو تَكَفِّيًا[٤٢]، وَيَمْشِي هَوْنًا[٤٣]، ذَرِيعُ الْمِشْيَةِ[٤٤]، إِذَا مَشَى كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ[٤٥]، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعًا[٤٦]، خَافِضُ الطَّرْفِ نَظَرُهُ إِلَى الْأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ[٤٧]، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلَاحَظَةُ[٤٨]، يَسُوقُ أَصْحَابَهُ[٤٩]، وَيَبْدُرُ مَنْ لَقِيَ بِالسَّلَامِ[٥٠]»

ومعنى هذا الوصف ما يأتى :

---

(١) وكان وصافا . والوصاف : الكثير الوصف أو العارف بالصفة ، وكان هند هذا قد أمعن النظر فى ذاته الشريفة صلى الله عليه وسلم لما تربى فى حجره فى صغره ، وذلك شأن علىّ أيضا وشأن من وصفوا النبى صلى الله عليه وسلم ، أما غيرهم من كبار الصحابة فلم يسمع من أحد منهم أنه تصدى لوصف هيئته هيبة له، إذ كانوا يغضون الطرف عن النظر إليه ، ومن وصفه صلى الله عليه وسلم فإنما وصفه على سبيل التمثيل وإلا فلا يعلم أحد حقيقة الوصف إلا خالقه ؛ ولذلك قال البوصيرى رحمه الله :

إنما مثلوا صفاتك للنا س كما مثل النجومَ الماءُ

(٢) فخما مفخما : أى عظيما فى نفسه معظما فى صدر الصدور وعين العيون ، لا يستطيع مكابر أن لا يعظمه وإن حرص على ترك تعظيمه .

(٣) يتلألأ وجهه تلألأ القمر ليلة البدر . ويتلألأ : بمعنى يشرق ويستنير ، وتلألؤ القمر ليلة البدر ، وهى ليلة أربعة عشر لأن القمر فيها يكون فى نهاية إضاءته ، وأشار بهذا إلى أنه صلى الله عليه وسلم كانت تشرق من طلعته الأنوار وتتلألأ منه الأضواء بالليل والنهار ، وورد عن أنس رضى الله عنه : « لما كان اليوم الذى دخل فيه المدينة أضاء منها كل شىء ، ومن ثم كانت الجدرات تلاجك وجهه » أى يرى شخصها فى وجهه فكأنه كالمرآة تنعكس عليها المرئيات ، وخص بالذكر القمر دون الشمس لأنه صلى الله عليه وسلم محا ظلمات الكفر وبددها كما محا القمر ظلمات الليل وبددها ، والتشبيه إنما هو للتمثيل والتقريب وإلا فلا شىء يماثل شيئا من أوصافه .

(٤) أطول من المربوع . والمربوع : من الربعة بفتح الراء التى هى وسط بين الطول والقصر ، والمعنى أنه مائل إلى الطول قليلا .

(٥) وأقصر من المشذب . والمشذب : هو الطويل البائن المفرط فى الطول ، وأصله النخلة الطويلة التى شذب عنها جريدها : أى قطع .

(٦) عظيم الهامة : أى كبير الرأس ، وعظم الرأس ممدوح لأنه أعون على الإدراكات والكمالات .

(٧) رجل الشعر : بكسر الجيم أى فى شعره تكسر وتثن قليل .

(٨) إذا انفرقت عقيقته فرقها وإلا فلا ، وفى رواية عقيصته بالصاد بدل القاف ، والعقيقة : شعر الرأس أو هى الخصلة إذا لويت وضفرت ، ويكون المراد على هذه الرواية الشعر المقصوص الذى على ناصيته ، لأنه يعق : أى يقطع ويحلق ، وهذا مجاز لأن أصل العقيقة الشعر الذى ينزل مع المولود ؛ وكانت عادة العرب أن يذبحوا للمولود وباسمه عند اللات والعزى عند قطع ذلك الشعر ، وكان صلى الله عليه وسلم بشعره الذى ولد به واستبعده « الزمخشرى » لأن ترك شعر الولادة كان نقيصة عند العرب وشحا وبنو هاشم أكرم الناس ودفع هذا الاستبعاد من الإرهاصات التى سبقت النبوة حيث لم يمكن الله قومه

من أن يذبحوا له باسم اللات والعزى عند حلق عقيقته جريا على عادة العرب فبق صلى الله عليه وسلم بشعر ولادته ، والمراد انفرقت أى بسهولة كأن كان حديث عهد بنحو غسل . وقوله فرقها أى جعلها فرقتين بفتح الفاء ، فرقة عن يمينه ، وفرقة عن يساره ، وقوله وإلا فلا ، أى إن لم تقبل الفرق فلا يفرقها بل يسدلها أى يرسلها على جبينه .

(٩) يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ، وهـذا ليس من مدخول النفى بلا بل مستأنف ويكون المعنى على هـذا أنه إذا جعله وفرة فإنه يتركه يجاوز شحمة أذنيه، أما إذا كان من مدخول النفى فيصير التركيب هكذا: وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره ؛ ويكون المعنى عقصه وضفره ولا يتركه يصل إلى شحمة أذنيه لأنه إذا وصل إلى المنكبين صار جمة ، وهذا ما لم يذكره « هند » .

(١٠) أزهر اللون : أى أبيضه بياضا نيرا لأنه مشرب بحمرة .

(١١) واسع الجبين . والجبين : ما فوق الصدغ عن يمين الجبهة وشمالها فلكل إنسان جبينان والجبهة ما بينهما ، وقد يطلق الجبين على الجبهة كلها وهو المراد هنا ، وواسع الجبين يراد به امتداد الجبهة طولا وعرضا ، وهو صفة محمودة ؛ وفسر بعضهم واسع الجبين أى واضحه ، وقيل واسع كناية عن طلاقة الوجه .

(١٢) أزجّ الحواجب : أى مقوس الحواجب كالنون المقلوبة ، والحاجب الأزج هو الطويل الدقيق المستوى بحيث لا تعدو شعرة منه الأخرى؛ وجاء فى الحديث « أزج » ولم يقل مزجج لأن الزجج خلقة والتزجيج صنعة والخلقة أشرف .

(١٣) سوابغ فى غير قرن . وسوابغ: بمعنى كوامل ، وهى بالسين والصاد ، ولكن السين أفصح . والقرن بالتحريك : اتصال الحاجبين بحيث يلتقى طرفاهما ، والقرن معدود من المعايب والعرب تكرهه وضده البلج بالتحريك وهو أن يتسع ما بين طرفى الحاجبين .

(١٤) بينهما عرق يدره الغضب : أى بينهما أى الحاجبين عرق يحركه ويظهره الغضب ويصيره ممتلئا دما ينبض ، وفيـــه دليل على كمال قوته الغضبية التى عليها مدار حماية الديار وقمع الأشرار .

(١٥) أقنى العرنين . وأقنى : من القنى الذى هو طول الأنف ودقة أرنبته وحدب أى علو بسيط فى وسطه فليس أفطس ولا أشم ، والعرنين بكسر العين وسكون الراء وكسر النون الأولى ما صلب من الأنف وقيل هو الأنف كله ، وهو المناسب هنا ، وعرانين الناس أشرافهم ، وعرانين السحاب أول مطره .

(١٦) له نور يعلوه : الضمير فى يعلوه إما للعرنين وإما للنبى صلى الله عليه وسلم ، ولـكن سياق الـكلام وما قبله وما بعده يرجح الأول .

(١٧) يحسبه من لم يتأمله أشم : والضمير أيضا فى يحسبه عائد إما للأنف وإما عائد للنبى صلى الله عليه وسلم ، أى يظنه من نظر إليه بغير تأمل أشم ، وقوله أشم مفعول ثان ليحسبه من الشمم بفتحتين الذى هو ارتفاع قصبة الأنف مع استواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلا . وحاصل المعنى فى هذا التعبير أن الرائى له صلى الله عليه وسلم يظنه أشم لحسن قناه ولنور علاه ولو أمعن النظر لحكم أنه غير أشم ، والأشم المتكبر .

(١٨) كث اللحية : أى كثير شعرها ، وفى رواية كثيف اللحية ، وفى رواية عظيم اللحية ، ومعلوم أن عظم اللحية بلا طول غير مستحسن عرفا وأن الطول الزائد عن القبضة غير ممدوح شرعا ، ولذا يسن قطعه ، واللحية بكسر اللام: الشعر النابت على الذقن بالتحريك وهى مجتمع اللحيين بالفتح للذين هما عظما الفـكين .

(١٩) سهل الخدين ؛ وفى رواية أسـيل الخدين . والمعنى على كل أنه غير مرتفع الخدين وذلك أحلى وأغلى عند العرب .

(٢٠) ضليع الفم : أى عظيمه وواسعه ، وهو محمود عند العرب ،

وسئل سماك بن حرب : ما ضليع الفم ؟ قال عظيمه : وفيه إيماء إلى الفصاحة وحسن مخارج الحروف ، وقد كان إمامنا الشافعى رضوان الله عليه كذلك . وقيل معنى ضليع الفم : عظيم الأسنان ولكن هذا ضعيف .

(٢١) مفلج الأسنان : أى منفرجها ، وهو خلاف متراص الأسنان ؛ وروى أفلج الأسنان ، والمراد أن التفليج كان بالثنيتين العلويتين كما فى حديث ابن عباس رضى الله عنهما . وانفراج الأسنان كلها غير ممدوح .

(٢٢) دقيق المسربة . والمسربة على وزن المكرمة : عبارة عن الخيط الدقيق من الشعر الذى ينبت على البطن بين الصدر والسرة ، ودقيق بمعنى رفيع .

(٢٣) كأن عنقه جيد دمية فى صفاء الفضة . والجيد . هو العنق ، فغاير بينهما كراهية التكرار اللفظى. والدمية بضم الدال وتشديدها وسكون الميم: الصورة من العاج ، وقد شبه عنقه الشريف بجيد الدمية فى الاستواء والطول والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال ، وقوله فى صفاء الفضة : إشارة إلى أن بياض الرقبة كان غاية فى الصفاء[1] .

(٢٤) معتدل الخلق : وهذا التعبير إما إشارة إلى عنقه الشريف فيكون المعنى لم يكن مفرط الطول ، وإما إشارة إلى أن جميع أعضائه متناسبة غير متنافرة .

(٢٥) بادن : أى سمين سمنا معتدلا ، فليس بكثير اللحم ولا نحيف جدا .

(٢٦) متماسك . أى أن لحمه غير مسترخ ، وفيه إشارة إلى أنه معتدل الخلق بين السمن والنحافة ، وهذا هو الظاهر .

(٢٧) سواء البطن والصدر : أى أن بطنه وصدره مستويان فلا يتتؤ بطنه على صدره ولا صدره على بطنه .

---

(١) قالت « أم معبد » فى روايتها الأولى عن هذا الوصف « كأن عنقه إبريق فضة » وهذا توافق فى التعبير يدل على حقيقة الموصوف .

(٢٨) عريض الصـــدر . وفى رواية رحب الصدر ، ويستلزم ذلك الوصف بعد ما بين المنكبين ، وذلك آية النجابة والقوة الجسمانية .

(٢٩) بعيد ما بين المنكبين : تأكيد للقول السابق .

(٣٠) ضخم الكراديس : أى عظيم رؤوس العظام ، وكراديس جمع كردوس على وزن عصفور ، وهو كما ذكر رؤوس العظام كالمنكبين والركبتين والوركين ومفاصل الساعدين وغيرها .

(٣١) أنور المتجرد : أى نير العضو المتجرد عن الشعر أو عن الثوب ، فهو على غاية من الحسن ونصاعة اللون .

(٣٢) موصول ما بين اللبة والسرة بشعر دقيق يجرى كالخيط . واللبة بفتح اللام وتشديد الباء وفتحها : النقرة التى فوق الصدر أو موضع القلادة ، والسرة بضم أوله مابقى من القطع ، وأما السر فهو ما يقطع ، وقوله بشعر يجرى كالخيط : أى يمتد ، وفى رواية كالخط . والمعنى أن مسربته تمتد بين تلك النقرة والسرة بخط دقيق من الشعر .

(٣٣) عارى الثديين والبطن ما سوى ذلك : أى خاليهما من الشعر وما سوى ذلك ، وفى رواية مما سوى ذلك وهى أنسب أى سوى محل الشعر المذكور الذى هو المسربة .

(٣٤) أشعر الذراعين والمنكبين وأعالى الصدر : أى كثير شعر هذه الثلاثة مواضع فشعرها كثير ؛ والأشعر كثير الشعر له وطويله .

(٣٥) طويل الزندين . والزند بفتح الزاى وتشديدها وسكون النون ؛ وهو من الذراع ما انحسر عنه اللحم : أى مايلى مفصل اليد .

(٣٦) رحب الراحة : أى واسع الكف ، وهو دليل الجود ، وصغره دليل البخل ، والراحة بطن الكف وأصلها من الروح وهو الاتساع .

(٣٧) شثن الكفين والقدمين : أى غليظهما مع النعومة .

(٣٨) سائل الأطراف : أى طويل الأصابع ممتدها ليست بمتعقدة ولا متكسرة .

(٣٩) خمصان الأخمصين : وخمصان على وزن عثمان ، ومعناه ضامر . والأخمصين بضم الهمزة والميم باطن القدمين ؛ والمراد أن وسط قدميه مرتفع عن الأرض ، وضده يقال له رخاء الأخمصين وهو القدم التى تمس الأرض جميعها فلا أخمص لها وهذا مذموم[1] .

(٤٠) مسيح القدمين ينبو عنهما الماء : أى أملسهما ومستويهما ليس فيهما تكسر ولا تشقق، وهما لملاستهما إذا صب عليهما الماء فإنه يمر عليهما سريعا ويتجافى عنهما .

(٤١) إذا زال زال قلعا : أى إذا مشى يرفع رجليه بقوة كأنه يقلع شيئا من الأرض .

(٤٢) يخطو تكفيا ؛ وتكفيا مصدر يتكفأ . ومعناه يميل إلى سنن المشى وهو ما بين يديه كالسفينة فى جريها ، وفسره بعضهم بأنه يميل يمنة ويسرة ، والمعنى الأول أظهر .

(٤٣) ويمشى هونا . وهذا تتميم لوصف كيفية مشيه صلى الله عليه وسلم ، والهون بفتح الهاء وسكون الواو: الرفق واللين ، ولا تنافى بينه وبين القلع المتقدم لأنه صلى الله عليه وسلم سواء كان مجدا فى مشيه أم غيره فإنه يسير بالرفق واللين ، ومظهرهما التثبت والوقار والحلم والأناة والعفاف والتواضع ، وقد وصف الله تعالى عباده الصالحين بهذه المشية فقال تعالى : (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا) .

(٤٤،٤٥) ذريع المشية إذا مشى كأنما ينحط من صبب . وذريع : أى واسع ، والمشية بكسر الميم الخطوة بفتح الخاء . والمعنى أنه واسع الخطوة خلقة لا تكلفا ، والصبب بالفتح المكان المنحدر . ومعنى إذا مشى كأنما ينحط من صبب أنه: إذا مشى كأنما ينزل فى موضع منحدر فتراه يميل بجسمه قليلا إلى الأمام.

---

(١) تقضى قواعد وزارة الدفاع المصرية للكشف الطبي على المجندين أن لا تكون أقدامهم من هذا النوع « الرخاء » لأن صاحبها لا يقوى على المشى الطويل ولا على القتال.

(٤٦) إذا التفت التفت جميعا : أى بجميع أجزاء جسمه اهتماما بشأن الذى التفت من أجله .

(٤٧) خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء . والطرف هو البصر: أى خافض البصر،لأن ذلك شأن المتأمل المتفكر المستحي من ربه ، والطرف بسكون الراء ؛ أما بتحريكها فهو آخر الشئ ، وقوله نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء : هذا كالتفسير لما قبله ويحتمل أن يكون وصفا مستقلا، وفيه إشارة إلى نهاية تواضعه وخضوعه وغاية حيائه من ربه .

(٤٨) جل نظره الملاحظة . وجل بضم الجيم معناه معظم ، والملاحظة أى النظر بلحاظ العين بالفتح وهو طرفها مما يلى الصدغ ، والمعنى النظر بمؤخر العين .

(٤٩) يسوق أصحابه : أى يقدّمهم أمامه ويمشى خلفهم تواضعا أو إشارة إلى أنه كالمربى لهم فينظر فى أحوالهم أو رعاية للضعفاء منهم وقال بعضهم إنه كان يمشى خلفهم لأن الملائكة كانت تمشى خلفه فكان يقول اتركوا خلف ظهرى لهم .

(٥٠) ويبدر من لقى بالسلام . ويبدر : أى يبادر ويسبق من يلقاه بإفشاء التحية حتى الصبيان والنساء لأن ذلك من كمال شيمه صلى الله عليه وسلم .

وصف « سيدنا على بن أبى طالب »

كرم الله وجهه

جاء فى « الشمايل المحمدية » للحكيم الترمذى ما نصه :

« حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ حَدَّثَنَا أَبِى عَنِ الْمَسْعُودِىِّ نَحْوَهُ بِمَعْنَاهُ حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدَةَ الضَّبِّىُّ الْبَصْرِىُّ وَعَلِىُّ بْنُ حُجْرٍ وَأَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ وَهُوَ ابْنُ أَبِى حَلِيمَةَ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ قَالُوا حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ يُونُسَ عَنْ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ مَوْلَى غَفْرَةَ قَالَ حَدَّثَنِى إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ مِنْ وَلَدِ عَلِىِّ بْنِ أَبِى طَالِبٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كَانَ عَلِىُّ بْنُ أَبِى طَالِبٍ إِذَا وَصَفَ رَسُولَ اللهِ قَالَ لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ(١)، وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ(٢)، وَكَانَ رَبْعَةً مِنَ الْقَوْمِ(٣)، وَلَمْ يَكُنْ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ، وَلاَ بِالسَّبْطِ(٤)، كَانَ جَعْدًا رَجِلًا(٥)، وَلَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ وَلاَ بِالْمُكَلْثَمِ(٦)، وَكَانَ فِى وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ(٧)، أَبْيَضُ(٨)، مُشْرَبٌ(٩)، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ(١٠)، أَهْدَبُ الْأَشْفَارِ(١١)، جَلِيلُ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ(١٢)، أَجْرَدُ، ذُو مَسْرُبَةٍ(١٣)، شَثْنُ الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ(١٤)، إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ

كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ (١٥) ، وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ مَعاً (١٦) ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ خَاتَمُ النُّبُوَّةِ (١٧) ، وَهُوَ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ (١٨) ، أَجْوَدُ النَّاسِ صَدْراً (١٩) ، وَأَصْدَقُ النَّاسِ لَهْجَةً (٢٠) ، وَأَلْيَنُهُمْ عَرِيكَةً (٢١) ، وَأَكْرَمُهُمْ عِشْرَةً (٢٢) ، مَنْ رَآهُ بَدِيهَةً هَابَهُ (٢٣) ، وَمَنْ خَالَطَهُ مَعْرِفَةً أَحَبَّهُ (٢٤) ، يَقُولُ نَاعِتُهُ لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ (٢٥) » .

وقال الترمذى فى جامعه بعد إيراد هـذا الحديث بهذا الإسناد ليس إسناده بمتصل لأن إبراهيم بن محمد (وهو محمد ابن الحنفية) لم يسمع من جده على بن أبى طالب ففى السند انقطاع .

---

(١) قوله لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطويل الممغط : بضم الميم الأولى وفتح الثانية وتشديدها وفتح الغين: أى المتناهى فى الطول، من قولهم امغط النهار إذا امتد وطال ، وفى « جامع الأصول » المحدثون يشددون الغين أى مع تخفيف الميم الثانية فيقولون « الممغط » وعليه يكون اسم مفعول من التمغط واختاره « الجزرى » وهو بمعنى البائن فى رواية والمشذب فى أخرى .

(٢) قوله ولا بالقصير المتردد : أى المتناهى فى القصر كأنه تداخلت أجزاؤه فى بعضها .

(٣) وكان ربعة من القوم . سبق القول فى تفسير معنى الربعة : بمعنى أنه كان أطول من المربوع. والقوم: جماعة الرجال، ومن القوم بمعنى فى قومه.

(٤) ولم يكن بالجعد القطط ، ولا بالسبط : سبق إيراد معناهما وهو أن شعره صلى الله عليه وسلم ليس بالشديد الجعودة التى هى الالتواء والانقباض ؛ولا بالمسترسل: أى كان بين ذلك قواما .

(٥) كان جعدا رجلا : تأكيد للعبارة السابقة : أى أن شعره صلى الله عليه وسلم وسط بين الجعودة والسبوطة .

(٦) ولم يكن بالمطهم ولا بالمكلثم : والمطهم هو المتنفخ الوجه الذى فيه جهامة أى عبوس من السمن ، وقيل النحيف الجسم وعلى ذلك فهو من أسماء الأضداد ، وقيل طهمة اللون أى تميل سمرته إلى السواد، ولا مانع من إيراد هذه المعانى كلها ، وقوله ولا بالمكلثم ، ومعناه مدور الوجه؛والمراد أنه أسيل الخدين مسنونهما أى غير مرتفعهما ، ولم يكن وجهه صلى الله عليه وسلم مستديرا غاية التدوير، بل كان بين الاستدارة والاسالة وهو أحلى عند كل ذى ذوق سليم ، واستدارة الوجه المفرطة تدل على الجهل .

(٧) وكان فى وجهه تدوير : أى بعض التدوير ، فلم يكن مستديرا كل الاستدارة كما تقدم .

(٨) أبيض : أى مشرب بحمرة لابياضا مثبتا كالجص والجير .

(٩) مشرب : بضم الميم وسكون الشين كما فى رواية بالرفع خبر لمبتدإمحذوف ،أى بحمرة. والإشراب: خلط لون بلون كأن أحدهما سقى بالآخر، وفى نسخة بالتشديد وهو من التشريب وهو مبالغة فى الإشراب ، وهـذا لاينافى ما فى بعض الروايات وليس بالأبيض لأن البياض المثبت ما خالطه حمرة والمنفى ما لايخالطها وهو الذى تكرهه العرب .

(١٠) أدعج العينين : أى شديد سواد حدقتهما مع سعة العين ومع شدة بياض بياضها ؛ والدعج شدة بياض البياض وشدة سواد السواد .

(١١) أهدب الأشفار . والأشفار جمع شفر بضم أوله وقد يفتح : وهو حرف جفن العين الذى ينبت عليه الرمش ، ومعنى أهدب الأشفار : طويل شعر الأشفار ، وطول شعر الأشفار مع الانعطاف هو المسمى بالوطف بفتحتين وهو الذى وصفته به «أم معبد» ، ويحتمل أنه سمى النابت باسم المنبت للملابسة؛ وفى « المصباح » العامة تجعل أشفار العين هو الشعر المعروف بالرموش وهو غلط .

(١٢) جليل المشاش والكتد : وجليل بمعنى عظيم . والمشاش بضم الميم جمع مشاشة وهى رؤوس العظام . والكتد بالفتح وكسرها : مجتمع الكتفين . والمعنى أنه عظيم ذلك كله وهو يدل على منتهى القوة وكمال الشجاعة

(١٣) أجرد ، ذو مسربة . وأجرد : أى غير أشعر ؛ والأشعر من عم الشعر جميع بدنه؛ والأجرد من لم يعمه الشعر ، ولكن هذا الوصف باعتبار المواضع التى ليس فيها شعر ، وقوله ذو مسربة على وزن مكرمة وهى : عبارة عن الخيط الدقيق من الشعر الذى نبت على بطنه الشريف بين الصدر والسرة.

(١٤) شثن الكفين والقدمين : تقدم بأنه بمعنى غليظهما مع النعومة .

(١٥) إذا مشى تقلع كأنما ينحط من صبب . وتقلع : أى مشى بقوة وهى مشية أهل الجلادة والهمة لا كمن يمشى اختيالا ، وقوله كأنما ينحط من صبب تقدم: بمعنى كأنه ينزل فى موضع منحدر وهو مؤكد لمعنى التقلع .

(١٦) إذا التفت التفت معا : أى بجميع أجزائه فلا يلوى عنقه يمنة أو يسرة إذا نظر إلى شىء لما فى ذلك من الخفة وعدم الصيانة وإنما كان يقبل جميعا أو يدبر جميعا لأن ذلك أليق بجلالته ومهابته واهتماما بشأن من يلتفت إليه .

(١٧) بين كتفيه خاتم النبوة . وخاتم بفتح التاء وكسرها بمعنى الطابع: وهو قطعة لحم كانت بارزة بين كتفيه بقدر بيضة الحمامة أو غيرها ، وكان عليه الصلاة والسلام منعوتا به فى الكتب القديمة فهو علامة على نبوته . وورد فى بعض الأحاديث أنه مثل زر الحجلة أى بيضتها ، وفى بعضها أنه

مثل البندقة من اللحم وفى بعضها كتينة صغيرة تضرب إلى الدهمة ، ويأتى أيضا حوله شعرات مجتمعات ، وقال العسقلانى ورواية أنه : كركبة عنز أو كشامة خضراء أوسوداء أو مكتوب فيها : محمد رسول الله، أو: سر حيث شئت فإنك المنصور لم يثبت منها شيء : وقال القاضى عياض والقرطبى ما حاصله إن الخاتم كان شيئاً بارزا فى جسده عند كتفه الأيسر قدر بيضة الحمامة أو زر الحجلة وعن عائشة رضى الله عنها قالت : « فلمسته حين توفى فوجدته قد رفع » .

(١٨) وهو خاتم النبيين : أى آخرهم فلا نبى بعده أى تبتدأ نبوته فلا يرد أن عيسى عليه السلام ينزل فى آخر الزمان لأنه يحكم بشريعة المصطفى عليه الصلاة والسلام فهو من أمته ويحكم باجتهاده فى الشريعة المذكورة ولذلك تبطل المذاهب حينئذ إذ العمل بالمذاهب معين[1] بنزول سيدنا عيسى عليه السلام .

(١٩) أجود الناس صدرا : المراد بالصدر هنا القلب تسمية للحال باسم المحل، إذ الصدر محل القلب الذى هو محل الجود . والمعنى أن جوده عن طيب قلب وانشراح صدر لاعن تكلف وتصنع ، وفى رواية أوسع الناس صدرا ، كناية عن عدم الملل من الناس على اختلاف طباعهم وتباين أمزجتهم كما أن ضيق الصدر كناية عن الملل .

(٢٠) أصدق الناس لهجة . واللهجة بفتح اللام اللسان ولكن لا بمعنى العضو المعروف بل بمعنى الكلام لأنه هو الذى يتصف بالصدق، والمعنى أصدق الناس قولا فلا مجال لجريان صورة الكذب فى كلامه لاستحالته عليه .

(٢١) وألينهم عريكة : من اللين الذى هو ضد الصلابة ، والعريكة الطبيعة ومعنى لينها انقيادها للخلق فى الحق ، إذ كان صلى الله عليه وسلم معهم على غاية من التواضع والمسامحة والحلم مالم تنتهك حرمات الله تعالى .

(٢٢) وأكرمهم عشرة ؛ وفى نسخة : وأكرمهم عشيرة على وزن قبيلة ، ومعنى كرم العشرة كرم الصحبة ، ومعنى كرم العشيرة طيب الأصل فقد ورد : « إن الله اختار القبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة » .

---

(١) معين : محدود .

(٢٣) من رآه بديهة هابه : أى من رآه قبل النظر فى أخلاقه العلية وأحواله السنية خافه وأجله وعظمه لجلالته وفخامته ومهابته .

(٢٤) ومن خالطه معرفة أحبه : أى من عاشره معاشرة معرفة أو لأجل المعرفة أحبه حتى يصير أحب إليه من والديه وولده والناس أجمعين ، وذلك لكمال خلقه ومزيد شفقته ورحمته وحسن تدبيره فى أمته .

(٢٥) يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله ؛ وناعته أى من يريد وصفه، وقوله لم أر قبله ولا بعده مثله ، لأنه صلى الله عليه وسلم لامثل له ، وقد نص العلماء على أن حقيقة رسول الله صلى الله عليه وسلم سر لطيف من أسرار الحق تعالى لا يطلع عليه فى هذه الدنيا نبى مرسل ولا ملك مقرب، وإنما أدرك المؤمنون منه ظاهر صورته المحمدية؛ فالخلق عاجزون عن إدراك جماله خلقا وخلقا وجاهه وعلمه وتزهده وخوفه ورجائه وتواضعه وشفقته ورحمته وجوده وغير ذلك من الكمالات وجميل الصفات .

.....

إلى هنا انتهى إيراد الأوصاف الثلاثة ، وليس المراد من إيرادها وتجشم عناء شرحها ومعرفة مراميها مبنى ومعنى تغليب أى منها على الآخر ، وإنما بيان حقيقة الأوصاف التى يرمون إليها ، وبيان أن النبى صلى الله عليه وسلم حائز فعلا لتلك الصفات ، وأن ما وصفوه به لم يكن إنشاء ولا فصاحة مما عرف عن العرب ، وبرهان ذلك اختلاف الظروف التى قيل فيها هذا الوصف على ما بيناه ؛ والحقيقة كما سبق القول هى أنه لا يعلم حقيقة وصفه إلا الذى صوره وأبدعه وجعله المثل الأعلى ظاهرا وباطنا .

.....

ونختم هذه الرسالة بإحدى قصائد بن الفارض قال رحمه الله :

زِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ[١] فِيـــكَ تَحَيُّرًا[٢]
وَارْحَمْ حَشًى[٣] بِلَظَى[٤] هَوَاكَ[٥] تَسَعَّرَا[٦]
وَإِذَا سَأَلْتُكَ أَنْ أَرَاكَ حَقِيقَةً
فَاسْمَحْ وَلَا تَجْعَلْ جَوَابِيَ لَنْ تَرَا[٧]
يَا قَلْبُ أَنْتَ وَعَدْتَنِي فِي حُبِّهِمْ
صَبْرًا[٨] فَحَاذِرْ أَنْ تَضِيقَ وَتَضْجَرَا[٩]

---

(١) فرط الحب . الفرط : من الأفراط وهو الأمتـــلاء . والحب : الغرام والشوق .

(٢) تحيرا . من حار وتحير حيرة وحيرانا : إذا نظر إلى الشيء فغشى عليه ولم يهتد لسبيله فهو حيران وحائر .

(٣) حشا . الحشا : هو ما دون الحجاب مما فى البطن من كبد وطحال وكرش وما تبعه ، أو ما بين ضلع الخلف التى فى آخر الجنب إلى الورك ، أو ظاهر البطن .

(٤) بلظى . واللظى : اللهب .

(٥) هواك . الهوى : العشق .

(٦) تسعرا : تأجج أو توقد .

(٧) [وإذا سألتك . . . . . إلى لن ترا] يشير الناظم رحمه الله بهـذا البيت إلى قصة موسى عليه الصلاة والسلام حين طلب من ربه الرؤيا قال تعالى (رب أرنى أنظر إليك قال لن ترانى ... ... الخ) .

(٨) صبرا : من الصبر الذى هو البقاء على الشىء واحتماله وهو نقيض الجزع

(٩) تضيق وتضجرا : من الضيق والضجر ، والضيق هو انقباض القلب والشك فى الشىء ، أو ما ضاق عنه صدرك ، والضجر وفعله: ضجر هو التبرم ، وقيل هو الملل .

إِنَّ الْغَرَامَ(١٠) هُوَ الْحَيَاةُ(١١) فَمُتْ بِهِ
صَبًّا(١٢) فَحَقُّكَ أَنْ تَمُوتَ وَتُعْذَرَا(١٣)

قُلْ لِلَّذِينَ تَقَدَّمُوا قَبْلِى(١٤) وَمَنْ
بَعْدِى وَمَنْ أَضْحَى لِأَشْجَانِى يَرَى(١٥)

عَنِّى خُذُوا وَبِىَ اقْتَدُوا وَلِىَ اسْمَعُوا
وَتَحَدَّثُوا بِصَبَابَتِى(١٦) بَيْنَ الْوَرَى(١٧)

---

(١٠) الغرام : ومنه المغرم ، وهو أسير الحب .

(١١) الحياة : هى نقيض الموت ، والموت هو فقد الحياة .

(١٢) صبا : ولهاً أى عاشقاً .

(١٣) تعذرا : يلتمس لك العذر ، لأنه اعتبر أنه أزهق نفسه عمدا وهذا كان يستدعى الإثم والعقاب إلا أن تكون المعذرة .

(١٤) الذين تقدموا قبلى : من المتولهين والمتصببين .

(١٥) ومن أضحى لأشجانى يرى . والأشجان : بمعنى الأحزان، والناظم يخاطب عذاله وذلك على جرى عادة العرب وإن لم يكن لهم وجود فعلا .

(١٦) الصبابة : الوله والعشق والغرام .

(١٧) الورى : الخلق .

وَلَقَدْ خَلَوْتُ مَعَ الْحَبِيبِ[١٨] وَبَيْنَنَا
سِرٌّ أَرَقُّ مِنَ النَّسِيمِ إِذَا سَرَى[١٩]
وَأَبَاحَ طَرْفِي نَظْرَةً أَمَّلْتُهَا[٢٠]
فَغَدَوْتُ مَعْرُوفًا وَكُنْتُ مُنَكَّرًا[٢١]
فَدُهِشْتُ بَيْنَ جَمَالِهِ[٢٢] وَجَلَالِهِ[٢٣]
وَغَدَا لِسَانُ الْحَالِ[٢٤] عَنِّي مُخْبِرًا[٢٥]
فَأَدِرْ لِحَاظَكَ[٢٦] فِي مَحَاسِنِ وَجْهِهِ[٢٧]
تَلْقَى جَمِيعَ الْحُسْنِ فِيهِ مُصَوَّرًا[٢٨]
لَوْ أَنَّ كُلَّ الْحُسْنِ[٢٩] يَكْمُلُ صُورَةً
وَرَآهُ[٣٠] كَانَ مُهَلِّلًا[٣١] وَمُكَبِّرًا[٣٢]

(١٨) ولقد خلوت مع الحبيب : أى تم استغراقى فيه ، وتعطف وتكرم بالنظر إلىّ بوجهه الكريم .

(١٩) وبيننا سر أرق من النسيم إذا سرى : أى دون حجاب .

(٢٠) وأباح طرفى نظرة أملتها : أى وسمحت لنفسى أن أواجه هذا التعطف بالنظر إلى وكنت أرجو هذه النظرة ؛ وقد أخذ بعضهم على الناظم هذه الجرأة فى حق مولاه، ولكن ردّ بأنه لما طلب موسى عليه السلام النظر إلى ربه، فأخذ بأن هذا جائز وليس من سوء الأدب مع المولى ، وقال بعضهم فى الرد : إن جبلة الناظم تختلف عن جبلة موسى ، ويؤخذ من حديث سوق الجنة أنه حيث يسمح المولى بالنظر لعباده فإنه يتجلى لهم بأنوار على قدر جبلتهم كما يحصل لنا جميعا إن شاء الله إذا قدر لنا أن ندخل الجنة على ما هو معروف .

(٢١) فغدوت معروفا وكنت منكرا : أى رأى نفسه معروفا ، وقد كان يظن أنه كان مجهولا ، وذلك فيه معنى الاطمئنان وأنه بشير بالرضاء، وهذا هو مبلغ فرحه بنفسه .

(٢٢) فدهشت بين جماله : أى فاعترتنى الدهشة والحيرة لأنه كان فى طلب الوصول غير مقدر تماما درجة هذا الجمال وحق من قال : « كل ما خطر ببالك فالله غير ذلك » .

(٢٣) وجلاله : أى وعظمته ومهابته .

(٢٤) وغدا لسان الحال : ولسان الحال هو التفهيم بغير نطق ولا إشارة وهو غير لسان المقال أو لسان الإشارة .

(٢٥) عنى مخبرا : أى غدا لسان الحال عنى متكلما .

(٢٦) فأدر لحاظك . واللحاظ: طرف العين من جهة الوجه ،أما طرفها الآخر المقابل فهو الموق .

(٢٧) فى محاسن وجهه . عبر الناظم بجميل صفات الذات بمحاسن الوجه. والحسن:الجمال وجمعه محاسن على غير قياس .

(٢٨) تلقى جميع الحسن فيه مصوراً : أى مشكلا ، والمعنى ظاهر مما قبله

(٢٩) لو أن كل الحسن كان مصوراً : ظاهر مما تقدمه .

(٣٠) ورآه : والفاعل محذوف تقديره راء بعين بصيرة أو باصرة .

(٣١) كان مهللا : أى قائلا لاإله إلا الله تعجبا من جمال ذلك الوجه .

(٣٢) ومكبرا : أى قائلا الله أكبر تعظيما لما رأى من الجمال الحقيق .

بحمد الله تم طبع كتاب « حول الشمايل المحمدية » مصححا بمعرفة لجنة من العلماء برياسة الشيخ « أحمد سعد على »

فى يوم الاثنين ٢٦ رمضان سنة ١٣٦٧ هـ — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٨ م .

ملاحظ المطبعة
محمد أمين عمران

مدير المطبعة
رستم مصطفى الحلبى

المختصر النفيس

فى فقه الشافعى محمد بن إدريس

تأليف

الأستاذ محمود سامى بك

الجزء الأول يشمل قسم العبادات .

جامع لأحكام مذهب الإمام الشافعى بطريقة سهلة لم يؤلف مثلها ، ومصدر بترجمة قيمة للامام المطلبى .

مطبوع بحرف جيد مضبوط على ورق مال من القطع الكبير زهاء ٥٠٠ صفحة

يطلب من مكتبة :

مصطفى البابى الحلبى وأولاده

ص . ب . الغورية رقم ٧١

مصر

اطلب الفهرست الجامع لأشهر الكتب والمصاحف الشريفة وغيرها .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 081686675

AP

2270
.9075
S97